البشامة (١)؛ وذكر عيوب اللفظ وهي :

١ ـ أن يكون ملحونا وجاريا على غير سبيل الاعراب واللغة؛

٢ ـ وأن يركب الشاعر منه مالم يستعمل الا في الشّرط؛

٣ ـ ولا يتكلم به إلا شاذاً، وذلك هو الوحشي الذي مدح عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ زهيراً بمجانبته له وتنكبه اياه فقال : «لا يتبع حوشي الكلام»؛

٤ ـ ومن عيوب اللفظ المماظلة، وهي التي وصف عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبته لها فقال : «وكان لا يماظل بين الكلام». وهي ليست مداخلة الشيء في الشيء لانه محال أن ينكر مداخلة بعض الكلام فيما يشبهه من بعض أو فيما كان من جنسه ، وانما يكون الانكار فيما يدخل بعضه فيما ليس من جنسه وما هو غير لائق به (٢) ؛

ابن وهب :

وفي كتاب «البرهان في وجوه البيان» (٣) لابي الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب اشارات إلى جزالة اللفظ وسخافته وركاكته : ولم يحدد معاني هذه المصطلحات واكتفى بالتمثيل وقال : «وأما جزالة اللفظ فكقوله :

وذل عفوك يا ابن عمّ محمد ... رصفان : ضوءُ الشمس والاظلامُ

فاذا تنبّه رُعْتَه واذا غفا ... سالَتْ عليه سيوفك الأحلامُ

وأما سخافة اللفظ وركاكته فمثل قول الآخر :

يا عتب سيفي أما لك دين ... حتى متى قلبي لديك رهين

فأنا الصّبور لكل ما حملتني ... وأنا الشقي البائس المسكين (٤)

---

(١) نقد الشعر ص ٢٦.

(٢) نقد الشعر ص ١٩٦، ٢٠١ .

(٣) هو النص الكامل للكتاب المطبوع باسم «نقد النثر» المنسوب إلى قدامة بن جعفر .

(٤) البرهان في وجوه البيان ص ١٧٧.

وقال عن الفصيح : «واما الفصيح من الكلام، فهو ما وافق لغة العرب ولم يخرج عما عليه أهل الادب، ولتصحيح ذلك وضع النحو، ولجمعه وضعت الكتب في اللغة، وذكر المستعمل منها والشاذ والمهمل: وحق من ينشأ في العرب أن يستعمل الافصاح بلغتهم، ولا يخرج عن جملة الفاظهم، ولا يقنع من نفسه بمخالفتهم فيخطئوه ويلحنوه» (١).

وليس في هذه الاشارات ما يوضح رأي صاحب «البرهان» في الفصاحة كما عرفها الجاحظ ومعاصروه.

العسكري :

وذكر ابو هلال العسكري (— ٣٩٥هـ) رأيين في الفصاحة :

الاول : ان الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وان اختلف اصلاهما لان كل واحد منهما هو الابانة عن المعنى والاظهار له. يقول : «فاما الفصاحة فقد قال قوم : انها من قولهم : أفصح فلان عما في نفسه اذا أظهره، والشاهد على انها هي الاظهار قول العرب : أفصح الصبح اذا أضاء: وأفصح اللبن اذا انجلت عنه رغوته فظهر، وفصح أيضا. وأفصح الاعجمي اذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين، وفصح اللسان اذا عبر عما في نفسه واظهره على جهة الصواب دون الخطأ، واذا كان الامر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وان اختلف أصلاهما» (٢).

الثاني : انهما مختلفان، وذلك ان الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ، لان الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، والبلاغة انما هي انتهاء المعنى إلى القلب لكأنها مقصورة على المعنى. يقول : «وقال بعض علمائنا : الفصاحة تمام آلة البيان، فلهذا لا يجوز أن يُسَمّى الله تعالى فصيحاً اذ كانت الفصاحة تتضمن الآلة، ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة ويوصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان»

(١) البرهان ص ٢٥٢.
(٢) كتاب الصناعتين ص ٧.